المحاضـــــــرة الأولى

مدخل عام:

إذا كان علم السياسة يعرف بأنه «سيد العلوم» كما قال (أرسطو) ، فإن حقل السياسة المقارنة هو في موقع القلب من ذلك العلم ، إذ يمثل القوة الدافعة التي تنهض بعلم السياسة أو تقعده ، وتدفع نحو توسيع حدوده أو تحديدها حصرا وتضييقة ، وفي الوقت نفسه فإن هذا الحقل هو مستودع المفاهيم والنظريات وطرائق البحث ومناهجه التي تحدد طبيعة علم السياسة ومجاله ، ونطاق دراسته في أية مرحلة من مراحل تطوره .

لقد كان أرسطو من أول وأشهر علماء المقارنة وذلك من خلال دراساته ومناقشاته المتعددة للأشكال السياسية والمؤسسية المتميزة لدول المدينة الإغريقية، ومن خلال تحليله للظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي تشكل وتحدد وتستند عليها هذه الأشكال ، ميكافيلي كذلك استعمل منظور هـمقارنة في تحليله لعناصر ومكونات القوة والسياسة في الدويلات الإيطالية وغيرها ، هوبز وبودان ومونتسكيو استعملوا التحليل المقارن بطريقة أو بأخرى ، كذلك فإن ماركس استند على بيانات ومعلومات مقارنة استمدها جزئية من دراساته ومن خبراته المعيشية في المانيا وفرنسا وانجلترا.

وفي هذا المجال، يقول الفيلسوف الإجتماعي الفرنسي **أليكس دي توكفيل** Alexis de Tocqueville "أن المقارنة شيء أساسي للفكر البشري، علاوة على أنها جوهر المنهج العلمي، فمقارنة ماضي أمتنا وحاضرها، ومقارنة تجاربنا بتجارب الأمم الأخرى يعمق من رؤيتنا لمؤسساتنا الخاصة. ويتيح لنا تفحص سياسات المجتمعات الأخرى رؤية مدى أوسع من البدائل السياسية، ويلقي الضوء على فضائل حياتنا السياسية وعيوبها ،وبإخراجنا من شبكة المسلمات والترتيبات المألوفة التي أعتدنا العمل من خلالها، فإن التحليلات المقارنة تساعدنا على توسيع وعينا للإمكانات الكامنة في السياسة".

كما قارن " **روبرت دال** Robert Dahl" في دراساته عن الديمقراطية بين الخصائص الاقتصادية والثقافية والتجارب التاريخية للعديد من الأمم المعاصرة، في مسار الاكتشاف تركيبات الظروف والسمات التي ترتبط بذلك الشكل من أشكال الحكومة. وقارن منظرون آخرون في محاولتهم التفسير الفروق بين أفعال وإنجازات الأنظمة السياسية، بين الأنظمة الدستورية والأنظمة الاستبدادية، الديمقراطيات ثنائية الأحزاب مع الديمقراطيات متعددة الأحزاب، والحكومات المستقرة مع الأنظمة المزعزعة"

تأسيسا على ما تقدم فإن الدراسات المقارنة قد احتلت مكانة هامة في مجال العلوم الاجتماعية عامة والعلوم السياسية خاصة حتى أن **ألكسيس دي توكفيل** وصل به الأمر للقول (أن العقل لا يعرف كيف يعمل إلا من خلال القيام بالمقارنات) ، وهو ما يدلل على ان المقارنة هي عملية جوهرية للفكر الإنساني كله.

ومن خلال استعراض هذا التراث الفكري المختصر ، فإنه قد يكون من الجائز القول بأن علم السياسة كان في أفضل حالاته كعلم وحقل دراسي عندما كان يوظف المنهج والمنظور المقارن، بعبارة أخرى، فإن أشهر المفكرين في تاريخ الفلسفة السياسية والفكر السياسي كانوا في نفس الوقت دارسي للسياسة المقارنة، وأن كل حقول علم السياسة تزداد قدراتها التحليلية كلما استعملت المنهج والمنظور المقارن.

Prof/youcefbaiche

المحور الأول: بعض المفاهيم المركزية:

إن الظواهر الاجتماعية والحقائق التي تعبر عنها ، لا يستطيع الباحث الإمساك بها في ذاتها وتقليبها أمام عينيه ، ومن ثم تفكيكها وتحليلها من أجل التعامل معها ، لكن عادة ما يتم الاقتراب من هذه الظواهر من خلال أطر وأدوات مفاهيمية وأبنية نظرية ووسائل منهجية.

وبناء عليه فإن إشكالية هذه الدراسة تنبع من أطروحتين أساسيتين هما:

أولا: أهمية ودور المفاهيم وخطورتها في أي علم من العلوم، حيث يتوقف فهم الظواهر والحقائق في الواقع فهما صحيحا وكاملا وعادة عليها بحيث يمكن القول بأن هناك علاقة طردية تلازمية بين صحة المفاهيم وصلاحيتها وشمولها من جانب، وبين الوصول إلى أقرب تعبير عن حقائق الواقع و أفضل فهم ومن ثم أصح تفسير لها من جانب أخر.

ثانيا: إن النظريات تبدأ إمبريقية* نابعة من الواقع في طورها الأول لدى واضعيها وتتحول إلى نظرية ليست أمبريقية بل قد تصبح أيديولوجية بعد ذلك ما لم يتم إعادة وتكرار فحصها وتحليلها ونقدها وفكها وتركيبها، ومن ثم استمرار عملية بناء و اختبار النظرية بصورة دائمة بحيث تظل هذه العملية ماثلة في وعي الباحث بصورة دائمة لا تسمح بتجمد النظرية وتسييدها وتحولها إلى سلطة معرفية تفرض على الواقع، لا لفهمه وحسن تحليله وتفسيره، ولكن لإثبات صحة مقولاتها وتأكيد مصداقيتها حتى تتحول النظرية من دور الكشف العلمي discovery عن حقائق الواقع إلى دور التبرير والتسويغ لمقولاتها وفرضياتها justification.

فدراسة المفاهيم في بنيتها وتطور دلالتها، يعد من أفضل الطرق التقويم أي علم من العلوم ، وعلى حد تعبير الحائز على جائزة نوبل سير ج توميسون Sir GThompson في كتابه "**إلهام العلم**" أن كل العلوم تعتمد على المفاهيم، فهي الأفكار التي حملت أسماء، وهي التي تحدد السؤال الذي يسأله الباحث، وتحدد كذلك الإجابة عليه، وهي البناء الأساس الذي تؤسس عليه النظريات. فالعلم دائما يبدأ بتشكيل المفاهيم التي تصل العالم، إذ أنه قبل شرح الظواهر لابد من وصفها ، فالسؤال ... لماذا؟ لابد أن يأتي بعد .. ماذا؟ الذي يجاب عليه من خلال إطار مفاهيمي، يش خص ويصف، وينظم ويقارن ويلخم بالألفاظ أية ظاهرة ، فالمفهوم هو القاعدة الأمبريقية للعلم : لذلك لابد من التحرك وراء المفاهيم، حيث لا يتقدم العلم ما لم يتم التحرك فيما وراء صياغة المفاهيم ولا يبدأ بدونها . كذلك فإن ما نعرفه لابد أن يصل إلينا من خلال وسيط لغوي في صورة مفاهيم تعكس الواقع أو تحوله إلى مادة قابلة الفهم ، بل إن المعرفة التي تم تحويلها كميا لابد أن يعبر عنها في النهاية بلغة طبيعية في صورة مفاهيم ومصطلحات وألفاظ.

---

* الإمبريقية Empircism هي المذهب الذي يرى أ ن أصل المعرفة هو التجربة ، الذي يطلق عليه أحيانا المذهب التجريبي، فالمقولة الأساسية لهذا المذهب هي أن الإنسان لا يمكنه أن يعرف إلا الأشياء التي هي نتيجة مباشرة للمشاهدة والملاحظة والتجربة . يترتب على هذا أن المعرفة القبلية غير موجودة أصلا أو أنها تكون مقصورة على الحقائق التحليلية ، وهي الحقائق التي لا تعتمد مصداقيتها إلا على معاني الكلمات المستخدمة في التعبير عنها، ولقد بدأت مؤخرا دعوات من بعض علماء السياسة لنقل المفهوم الامبريقي والهدف المطبق في ميدان العلوم الطبيعية إلى ميدان العلوم السياسية.

Prof/youcef@Batiche

أولا: مفهوم العلم.

يقول كيرلنجر Kerlinger أنه في العالم العلمي توجد رؤيتان عريضتان عن مفهوم العلم: الرؤية الثابتة Static والرؤية الديناميكية dynamic، الرؤية الثابتة هي الرؤية التي يفضلها الأفراد العاديون، حيث ينظرون إلى العلم على أنه نشاط يمد العالم بمعلومات منظمة، ويوصف عمل العالم الباحث بأنه الكشف عن حقائق جديدة، يضيفها على الكم الموجود من المعارف، أي أن العلم هو تراكم العديد من الاكتشافات، ويكون التركيز الأساسي فيه على طبيعة العلم بتشجيع العلماء على الاكتشاف.

ومن هذا المنطلق أعطيت عدة تعريفات للعلم، فقد عرف قاموس ويبستر الجديد Webster العلم: بأنه "المعرفة المنسقة التي تنشأ عن الملاحظة والدراسة والتجريب، والتي تتم بغرض تحديد طبيعة وأسس وأصول ما تم دراسته".

أما قاموس أكسفورد المختصر Oxford فعرف العلم: بأنه «ذلك الفرع من الدراسة الذي يتعلق بجسد مترابط من الحقائق الثابتة المصنفة. والتي تحكمها قوانين عامة وتحتوي على طرق، ومناهج موثوق بها لاكتشاف الحقائق الجديدة في نطاق هذه الدراسة».

لذلك فقد حدد العلماء أربع عناصر أساسية تمثل مسلمات في بنية العلم وهي التي تحدد ما إذا كانت أي عملية أو معرفة علما أو ليس علما وهي:

1. **الحقائق**: التي يبدأ العلم بافتراض وجودها ، ويستطيع الباحثون الوصول إليها مهما اختلفت أماكنهم و أوقاتهم.
2. **القوانين**، وهي العلاقات التي تربط بين الحقائق المنتمية المجموعة واحدة
3. **الافتراضات**: وهي تخمينات أولية تمثل فهما مبدئيا لما بحث أو يجري بحثه، ويتم اختيارها بالملاحظة أو التجربة
4. **النظرية**: وهي مخطط مفاهيمي كبير يقع في بؤرة التفكير، ويقدم صورة كاملة الحقل المعرفي موضوع البحث ، ويجب أن يتناسب مع المعلومات الناتجة من الملاحظة والتجربة وأن يكون قادرا على التنبؤ.

ويمكن حصر أهم الإشكاليات التي نُسِبت للعلوم الاجتماعية عموما والعلوم السياسية خاصة ، والتي ساهمت في التقليل من علميتها والتقليل من موضوعيتها ، أو نفيها خارج إطار العلم بمعناه الإمبريقي على النحو التالي:

أ. **عدم القابلية للتجريب أو إعادة تكرار الأحداث** بصورة تامة مثلما يحدث في العلوم الطبيعية، حيث يمكن إعادة الأحداث تحت ظروف مطابقة تماما، مما يؤدي إلى الخروج بقوانين ثابتة ،أما في العلوم التي تتعامل مع البشر فيستحيل التكرار مع المطابقة ، فالحدث قد يحدث في ظل ظروف مشابهة وليست مطابقة ، كذلك فإن الظروف البيئية التي يقع فيها الحدث من المستحيل تكرارها لأنها ظروف تاريخية وثقافية ومؤسسية واجتماعية متحركة وليست طبيعية ثابتة، ولذلك فالمقارنة هي الوسيلة الوحيدة لإيجاد حالة شبيهة بالحالة الأولى، لأنه لا يمكن التحكم في ثبات أي من عناصر البيئة ، ومن المهم أيضا التأكيد على أن هذه الإشكالية ، ليست قاصرة على العلوم الاجتماعية فحسب، بل إن هناك من العلوم الطبيعية علوما غير قابلة للخضوع للتجريب، مثل الجيولوجيا و البيولوجيا التطورية وعلم النبات، وعلم الحشرات، ولم يقلل ذلك من علميتها في شيء .

ب. **إشكالية التعميم**: حيث إن القوانين في العلوم الطبيعية لها صلاحية كاملة ومستقلة عن الزمان والمكان ، أما الشؤون الإنسانية فإنها تتأثر بالثقافة والتاريخ، ومن ثم فالقوانين الخاصة بها نسبية، ويتجلى ذلك من خلال

Prof/youcef@Baitiche

صعوبة الوصول إلى قوانين واضحة وثابتة نظرا لتغير الظاهرة الاجتماعية باستمرار ، كما أن النظريات المتوصل إليها في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية تبقى نسبية ولا تتسم بالدقة والصرامة العلمية التي تميز العلوم الطبيعية ، بالتالي لا يمكن تعميم نتائجها ، على جميع الظواهر حتى وإن تشابهت تماما.

ت. **إشكالية القيم**: حيث يرى الأمبريقيون أن العلوم الطبيعية خالية " من القيم، أما العلوم الاجتماعية فإنها لم تصل إلى هذا المستوى ، وهذه الإشكالية مثار جدل كبير ، والفارق بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية يكمن في مد ى اتساع مساحة القيم، فنظام العلم في مجمله موجه بأهداف تم رسمها من خارجه، فمجرد اختيار موضوع معين يعكس قيمة ما، حيث يثور التساؤل: لماذا هذا الموضوع بالذات وليس موضوعا آخر؟ وإذا كان هذا الأمر يصدق على العلوم الطبيعية، فإن معظم موضوعات العلوم الاجتماعية تدور حول القيم.

ث. **إشكالية القدرة على التنبؤ** : لا يقف العلم عند حد التوصل إلى تعميمات أو تصورات نظرية معينة التفسير الأحداث والظواهر ، وإنما يهدف أيضا إلى التنبؤ بما يمكن أن يحدث إذا طبقنا هذه التعميمات في مواقف جديدة غير تلك التي نشأت عنها أساسا ، ولكى تكون تلك التنبؤات مقبولة علميا فإنه ينبغي التحقق من صحتها.

أما العلوم الاجتماعية فلم تصل إلى هذا المستوى، بل إن هناك من يرى أن التنبؤ في العلوم الاجتماعية ظاهرة خطيرة على العلم ذاته، إذ إن إطلاق تنبؤات معينة، قد يساهم في تشكيل الظاهرة الاجتماعية، ودفعها يقوة العلم وتأثيره إلى تحقيق هذه التنبؤات أو عدم تحقيقها.

ج. **إشكالية الموضوعية** : وهو اتجاه المدرسة الوضعية والعلماء التطبيقيين وهو يتعلق بسلوك الباحث واتجاهاته وتأثيره في موضوع البحث ، حيث يتمركز الباحث في العلوم الإنسانية والعلوم السياسية حول ذاته، أي أنه يقدم رؤيته للظاهرة الإنسانية المدروسة انطلاقا مما يحمله في ذاته من مشاعر وأفكار ومعتقدات ترتبط بالتزامه بمواقف فلسفية أو مذاهب إيديولوجية أو عقائدية، وهذا ما يجعل الباحث يسقط تصوراته الذاتية على الظاهرة ويجعل تحقيق الموضوعية مسألة غاية في الصعوبة في الظواهر الإنسانية.

ثالثا: في معنى المنهج ***Method*** .

المنهج كما يراه **رونيه ديكارت** Rene Decartes أنه طريقة لإحكام العقل وللبحث عن الحقيقة في العلوم ، وهو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم المختلفة وذلك عن طريق جملة من القواعد العامة التي تسيطر على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة مقبولة ، كما يراد بالمنهج في أي فرع من فروع المعرفة الطريقة التي يتبعها العقل في دراسته لموضوع ما، للتوصل إلى قانون عام أو مذهب جامع، أو هو فن ترتيب الأفكار ترتيبا دقيقا بحيث يؤدي إلى كشف حقيقة مجهولة، أو البرهنة على صحة حقيقة معلومة وبهذا فإن المنهج يعني مجموعة الإجراءات الذهنية التي يتبعها الباحث مقدما لعملية المعرفة التي سيقبل عليها من أجل التوصل إلى حقيقة المادة التي يستهدفها.

فالمنهج العلمي إذن، هو مجموعة مقننة من الأدوات التي تستخدم وفق قواعد إجرائية محددة متفق عليها من قبل المجتمع العلمي المحترف، بحيث أنها تشكل لغة خاصة بهذا المجتمع، كما يرسم علاقاته المختلفة مع مجتمعات، مهنية أو غيرها، مجاورة أو بعيدة على السواء، ولغة المنهج هي عبارة عن نظام يحدد العلاقات الممكنة و غير الممكنة في عملية الإنتاج المعرفي العلمية.

Prof/Youcef@Baitiche

وقد بدأ استخدام هذا المفهوم بمعناه العلمي الاصطلاحي خلال القرن السادس عشر مع بداية الثورة العلمية ف ي العلوم الطبيعية، واستخدامها للتجريب والتحويل الكمى كمنهجية التفسير والتنبؤ ، ومن ثَم تَم ربط مفهوم المنهج بمفهوم العلم، واستخدمت صيغة المنهج العلمي تمييزا لطبيعة هذا المنهج، وانطلاقا من رؤية تدمج بين المفهومين، فترى أن العلم بمنهجه، وأن أهم ما يميزه عن باقي حقول المعرفة و از الأخرى هو المنهج وليس المحتوى، ومن ثم يكون الاهتمام بوسائل تحليل المعرفة والقواعد التي تضبط ذلك،وحيث إن هناك ما يشبه الإجماع على أن العلم - أي علم - عبارة عن بناء من الافتراضات والمفاهيم والمناهج.

وقدارتبط مفهوم المنهج تاريخيا أولا بالمنطق، فأصبح يدل على الوسائل و الإجراءات العقلية طبقا للحدود المنطقية التي تؤدي إلى نتائج معينة، ومن ثم يمكننا القول إن الدلالة الاصطلاحية لمصطلح منهج انطلقت من اليونانية، واستمرت في الثقافة الإسلامية، لتصل إلى عصر النهضة، و هي ما تزال محتفظة بالتصورات الصورية طبقا للمنطق الأرسطي بحدوده وطرق استنباطه " فالمنهج في هذه المرحلة كان يطلق على المنهج العقلي، لأنه يلتزم بحدود الجهاز العقلي ليستخرج النتائج منها.

والمنهجية تقوم بعمليات ثلاث : **أولها** : فهم أبعاد الظواهر الواقعية و **ثانيها** : لا يمكن دراسة الظواهر الاجتماعية بصورة مباشرة، ولكن تتم دراستها من خلال رموز، سواء تمثلت في اللغة أو في الأرقام، فجميعها تعبيرات رمزية عن حقائق واقعية، ومن ثم فإن المنهج يقوم بتحديد وضبط العلاقات المنطقية بين الرموز، التي يعبر بها عن الواقع، والواقع الذي تعكسه الرموز ، وثالثها:تحديد العلاقات بين الرموز المستخدمة في التفكير والأحداث الاجتماعية ، ومدى الترابط بينهما.

ولذلك لا يقف المنهج عند حد الوصف Description، بل يتجاوزه ليقدم وصفة Prescription من خلال عوامل الترجيح و التركيز على متغيرات دون أخرى، واستخدام ألفاظ معينة من اللغة تدفع في اتجاه معين مفضل لدى القائم على البحث ، لأن العلماء الباحثين لا تسير أعمالهم منسجمة مع الحقيقة وسعيا للوصول إليها، بل إن بحثهم عن النجاح والقوة والثروة قد يسبق كثيرا بحثهم عن الحقيقة ، كذلك تلعب السياسة دورا في تحديد نتائج البحث العلمي، حتى ولو كان دورا مشروعا مثل السعي للإصلاح والتغيير،كما تؤثر مصادر التمويل على سياق البحث ، بالإضافة إلى قوى التقليد الموجودة داخل المجتمع العلمي، والتي تسعى لجعل الحقل مستقرا ثابتا ، وأحيانا أخرى تقوده للوراء بتأثير عدة عوامل.

رابعا :مفهوم الاقتراب ***Approach***

في مجال العلوم الاجتماعية ، يتم تطبيق المصطلحين الاقتراب و المنهج بشكل فضفاض إلى حد ما ، وفي بعض الأحيان يتم تطبيقهما بالتبادل. يمكن التمييز بين الاثنين.

إن لفظ اقتراب أقرب للواقع في مجال دراسة الظاهرة السياسية، باعتبار أن الاقتراب هو أسلوب المعالجة الذي يكسب الدراسة طابعها الخاص، ويحدد في الوقت نفسه محاور البحث وقضاياه الأساسية، وبالتالي يمكن اعتباره بمثابة اتجاه أو ميل الباحث إلى اختيار إطار مفاهيم معينة، كما أنه يحدد نوعية المفاهيم والطرق التي يستعملها الباحث في دراسته.

فالمدخل أو الاقتراب: يُشير إلى المعايير التي تنتقي خلالها الأسئلة والبيانات الملائمة. كما أنه يُستخدم للإشارة إلى المعايير المستخدمة في انتقاء الأسئلة التي تطرح والضوابط التي تحكم اختبار موضوعات ومعلومات معينة أو استبعادها من نطاق البحث ، ويمكن الاستعانة بمدخل واحد أو أكثر في مجال الدراسات الاجتماعية ومنها

Prof/youcef@Baricche

السياسية،والملاحظ أن الكثير من الباحثين يقرنون الاقتراب بأحد المجالات التالية : العلوم الأكاديمية كالتاريخ والاقتصاد والاجتماع ، فيقولون :الاقتراب التاريخي أو الاقتصادي التاريخي، كما يمكن أن يقترن بالقوى السياسية والظواهر المختلفة، كظواهر العنف السياسي مثل: الثورات والانقلابات، والحروب الأهلية، والمظاهرات، والاغتيالات السياسية، وظواهر الاغتراب والصراع الاجتماعي، ثم القوى السياسية الهامة كالمؤسسات والسلطة.

فالاقترابات في وسائط بيننا وبين الظواهر المختلفة تعيننا على تفسيرها، استنادا إلى المتغيرات أو المتغير الذي نرى أنه يملك قدرة تفسيرية أكثر من غيره، وهكذا فإذا كان العامل الذي جلب اهتمامنا س ياسيا، نسبنا الاقتراب إليه وأطلقنا عليه الاقتراب السياسي أو المدخل السياسي، وإذا كان العامل اقتصاديا، كان المنبع هو الاقتراب الاقتصادي وهكذا....

خامسا: النموذج المعرفي ***Paradigm***.

استعمل **توماس كون** Thomas Kuhn في أوائل الستينات مصطلح النموذج المعرفي ، وكانت له عدة كتب أشهرها على الإطلاق (بنية الثورات العلمية) والذي اعترف فيه بغموض المصطلح ، فقد استخدمه باثنتين وعشرين دلالة ، فهو من ناحية يعبر عن مجموعة من المعتقدات والقيم المتعارف عليها والتقنيات المشتركة بن أعضاء مجتمع علمي بذاته، ويشير من ناحية أخرى إلى عنصر منفصل في هذا المركب الجامع، أي الحلول الواقعية للألغاز التي إذا ما استخدمت كنماذج يمكن أن تحل محل القواعد الصريحة كأساس لحل الألغاز المتبقية في نطاق العلم القياسية. كما أن للنموذج المعرفي دلالة على إنجاز علمي بواسطة مجتمع معرفي له خصوصية ذاتية، هذا المجتمع يطرح نموذج ينبعث أو ينشأ من تقاليد متجانسة للبحث العلمي، كما أنه أيضا طريقة أو رؤية عامة للنظر إلى العالم.

والنموذج المعرفي كمصطلح، غالبا ما يستخدم في العلوم السياسية كما هو الحال في علم الاجتماع كبديل لكلمة النظرية أو النظرية العامة، فعلماء السياسة حاولوا تشكيل تصور ومفهوم حول النموذج المعرفي من أجل صنع وضوح في ما يخص الفرق بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية ، والسبب كما وضحه كوهين هو غياب إجماع نظري في أي حقل من الحقول الاجتماعية.

والنموذج المعرفي - كما يستخدمه كوهين - يمكن تعريفه بأنه مجموعة متآلفة منسجمة من المعتقدات والقيم والنظريات والقوانين والأدوات والتكنيكات والتطبيقات، يشترك فيها أعضاء مجتمع علمي معين، وتمثل تقليدا بحثيا كبيرا، أو طريقة في التفكير والممارسة، ومرشدا أو دليلا يقود الباحثين في حقل معرفي ما، وقد يكون النموذج المعرفي ذا طبيعة فلسفية وشديد العموم، بحيث يوجه القائمين على التفكير العلمي أكثر مما يشكل حقلا بحثيا.

وفي نفس السياق يُعَرِّف **عبد الوهاب المسيري** النموذج على أنه :بنية تصورية أو خريطة معرفية يجردها عقل الإنسان من كم هائل من العلاقات والتفاصيل والحقائق (الموضوعية)، فهو يستبعد بعضها بحسبانها غير دالة (من وجهة نظره) ويستبقي البعض الآخر. ثم يربط بينها وينسقها تنسيقًا خاصًا، ويجرد منها نمطًا عامًا.

ويؤكد المسيري على أن صياغة النموذج ليست مجرد عملية آلية موضوعية يرصد فيها العقل الواقع بشكل فوتوغرافي، ولكنها إبداعية إجتهادية تتضمن عمليات عقلية عديدة ومتنوعة، وهي عملية تشمل جانبين هما؛ ذات الباحث، والظاهرة موضوع البحث، فصياغته كما يصفها المسيري تجمع بين الملاحظة الإمبيريقية واللحظة الحدسية، وبين التراكم المعرفي والقفزة المعرفية، وبين الملاحظة الصارمة والتخيل الرحب، وبين الحياد والتعاطف، والانفصال والاتصال.

Prof/Youcef@Batiche

ويتخدم المسيري النموذج كأداة تحليلية بمعنى قريب من المعنى الذي استخدمه عالم الاجتماع **جراهام كينولوتش** Graham Charles Kinloch في كتابه (النظرية السوسيولوجية: تطورها ونماذجها الرئيسة)، ومن أبرز خصائص النموذج كأداة تحليلية بهذا المعنى الآتي:

1. لا يركز النموذج على أعلام المدارس الفكرية كل منهم على حدة، وإنما يركز بالأساس على أطروحاتهم في إطار النموذج المُصاغ.
2. تعتمد عملية صياغة النموذج على التجريد المستمر بغرض الوصول إلى الأدوات الأساسية للتفسير وتطويرها.
3. التأكيد على الأنماط المتكررة بين أصحاب النظريات والمدارس بغض النظر عن الاختلاف القائم فيما بينهم في التفاصيل والمقدمات.
4. التأكيد على فكرة المرجعية أو الأساس المعرفي وتجاوز الاختلافات القائمة في التفاصيل المعلوماتية.

عدم المبالغة في الاهتمام بأصحاب النظريات والمدارس الهامشية وغير الفاعلة على حساب دراسة النماذج السائدة والمهيمنة.

5. يعتمد النموذج على التحليل البنيوي ولا سيما العمليات التحليلية المتمثلة في التجريد والربط والتصنيف.
6. يرتبط النموذج بدرجة كبيرة برؤية العالم " World view"، حيث تساهم عملية بناؤه في التعريف بالعالم الطبيعي والواقع الإنساني.

وفي دراستهما " النماذج المعرفية المتنافسة في السياسية المقارنة " حد **هولت** و **ريتشاردسون** خمسة عناصر للنموذج المعرفي كما وردت عند توماس كوهن هي:

1. العنصر المفاهيمي Conceptual element: وهو منظومة المفاهيم التي تستخدم في صياغة الفروض النظرية بصورة مباشرة أو غير مباشرة، والتي تحدد بؤرة البحث الإمبريقي، ولا يوجد تقنيات محددة لاشتقاق هذه المفاهيم إمبريقية بل يتم اختبارها وتحديد مضامينها بصورة تحكمية.
2. العنصر النظري Theoritical element: للنظرية استخدامات عديدة في العلوم الإجتماعية، وفي هذا السياق النظرية هي مجموعة الفروض المترابطة منطقيا سواءا كانت بديهية ومسلم بها أو حقيقة نظرية قابلة للتصديق أو التقنيد.
3. قواعد التفسير Rules of interpretation : هي القواعد التي تصف الظواهر التي تتم ملاحظتها عن طريق المرجعيات التي يتوقف عليها خطأ أو صدقية تنبؤات النظرية، وفي السياسة المقارنة طبيعة الإقتراب التقليدي للتحليل السياسي المقارن هي مبنية على التضمين الجدولي للقيم التسقية لتقسير الظاهرة السياسية.
4. عنصر حصر بؤرة الإشكالات البحثية Puzzling element: يعتبر بمثابة المرجعية التي يستند إليها المجتمع العلمي الذي يتبنى نموذج معرفي ما، وذلك بتحديد الإشكالات البحثية الواجب بحثها والتي سوف يكون لها دور في ترسيخ ذلك النموذج المعرفي بتطويره وإثبات صدقية نظرياته.
5. عنصر التحكم التكويني Ontologic – Predictive : يقصد به مجموعة عناصر النموذج المعرفي الذي من خلاله يستطيع تحديد العناصر المفاهيمية والنظرية ومحددات الإشكالات البحثية، كما يحدد شكل القوانين التي سوف يتم التوصل إليها، فهو بمثابة عنصر الضبط في النموذج المعرفي.

Prof/youssef@Baitiche

أهداف النموذج المعرفي : إن غموض أهداف الحقل العلمي وتناقضها وغياب التحديد الدقيق للنطاق يرتبط بشكل واضح بتناقض هيكل النموذج وغياب الملامح الأساسية له ، وفي هذا الإطار فإن تحديد أهداف النموذج المعرفي يخدم في بيان دوره وأهميته في الحقول العلمية ومنها العلوم الإجتماعية بشكل خاص:

- ✓ إن النماذج المعرفية لا تستخدم فقط لتصنيف عمليات التفكير المستخدمة في حقل علمي بل ايضا تعتبر طريقة ملائمة لعرض الأفكار.
- ✓ يعتبر نموذجا لصياغة وحل المشاكل المعقدة بالتحديد والتي لم يستطع النموذج السابق حلها ، إن النظرية والتطبيق يمكن ان تخدم بشكل جيد من خلال النماذج المعرفية التي تدعي موقف النظرة الشاملة للحقل، كونها توفر المحرك الأساسي للفكر الإنتقادي والبحثي من خلال العناصر المعيارية والمعرفية والوجودية لهذه النماذج.
- ✓ إن غرض النموذج المعرفي هو إيجاد الهياكل التي تتناسب وإدراكاتنا الذاتية وتخدم متطلباتنا الثقافية والاجتماعية.
- ✓ إن النماذج المعرفية تخدم في تمييز الأصول الفكرية وتفعيلها بما وينسجم ومتطلبات الفكر والتطبيق العلمي.

Prof/youcef@Batiche